مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الرابع والعشرون - المجلد الثالث - علوم القرآن - تشرين أول 2024م
doi.org/10.52866/esj.2023.03.24.16

ما لا يَحتَمِلُ مِنَ الرَّسْمِ إلا قِراءَةً واحِدةً

م. د. ستار نزيه أحمد حاجم البدراني
جامعة سامراء / كلية التربية - قسم علوم القرآن

مستخلص:

فانَّ هذا البحث يُعنى بدراسة استقرائية تحليلية للقراءات القرآنية الصحيحة التي رُسمت في أحد المصاحف العثمانية رسماً لا يحتمل إلَّا قراءة واحدة في حين أنَّها رسمت في مصحف آخر رسماً آخر لا يمكن ان تُقرأ بالقراءة الاولىٰ ولا الأولى بالقراءة الثانيةٱ ولم يكن الرسم هو سبب القراءتين وإنَّما سبب تلك القراءة هو التواتر والنقل الصحيح عن الرسول ﷺ، فجاء الرسم موافقاً لتلك القراءة.

وتكمن أهميت دراسة هذه النوع من القراءة هو لبيان صحة هذه القراءاتٱ وبيان أنَّ المعتمد فيها لا يقتصر على رسم المصحف وإنما صحة السند.

وقد سلكتُ في بيان بحثي هذا منهجين: الأول: المنهج الاستقرائي: فقمت بتتبع القراءات القرآنية في الرسم التي لا تحتمل إلَّا قراءة واحدة وأخذ نماذج منها وبيان صحتها وحجيتها وأن الرسم جاء موافقاً لها، والثاني: المنهج التحليلي: الذي يقوم على تخريج القراءات القرآنية من مصادرها وعزوها إلى قرائها، ولم يكن الاعتماد في قراءتها على الرسم فقط، وجوهر البحث يكمن في بيان دقة القراءات القرآنية المتواترة الصحيحة في الرسم والنقل، ولم يكن الرسم هو السبب الوحيد في هذه القراءات وبيان للمتوهمين والخاطئين والطاعنين في أن الرسم ليس هو سبب تلك القراءات وإنما جاء مؤيداً وموافقاً لتلك القراءات.

The drawing can only bear one Qur’anic recitation.

Doctor teacher
Sattar Nazieh Ahmed Hajim Al-Badrani
satar.nazih@uosamarra.edu.iq

Abstract :

This research is concerned with an inductive and analytical study of the correct Qur’anic readings that were drawn in one of the Uthmani Qur’an in a way that only one reading is possible, while in another Qur’an it was drawn in another way that cannot be read with the first reading, nor the first with the second reading, and the drawing was not the reason for the two readings, but rather The reason for this reading is the frequency and correct transmission from the Messenger (may God bless him and grant him peace), so the drawing was consistent with that reading.

The importance of studying this type of reading lies in demonstrating the authenticity of these readings, and showing that what is relied upon in them is not limited to the drawing of the Qur’an and the authenticity of the chain of transmission..

In this statement of my research, I followed two approaches: The first: the inductive approach: I traced the Qur’anic readings in the drawing, which can only be read by one reading, and took examples from them and demonstrated their validity and authenticity, and that the drawing was consistent with them. The second: the analytical approach: which is based on extracting the Qur’anic readings from their sources and attributing them to its readers, and the reliance in reading them was not on drawing alone, and the essence of the research lies in demonstrating the accuracy of the correct frequent Qur’anic readings in drawing and transmission, and drawing was not the reason for these readings and a statement to the delusional. And those who are wrong and dispute that drawing is not the reason for these readings.

المقدّمة

الحمد لله رب العالين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والمهتدين بهديه والداعين بدعوته إلى يوم الدين وبعد:

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المبين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، تكفل الله ﷻ بحفظ القرآن العظيم ويسّر له مختلف الوسائل التي كان منها كتابته مع تلقيه وجمعه في الصدور، إذ تُعدُّ كتابة القرآن ورسمه من أهم الوسائل والطرق التي ساهمت في حفظه وصونه من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان كما ساهمت في تعلّمه وتعليمه على مر الأزمنة والعصور، ولقد نال الصحابة ﷺ الفضل في كتابته وتلقيه وتلقينه، ليبقى ذلك الرسم منذ عهد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ حتى حاضرنا أصلاً لكتابة المصاحف، ووسيلة لحفظه وصونه، فالقرآن الكريم هو رسالة الله الباقية الخالدة.

فهذه دراسة استقرائية تحليلية في رسم القراءات القرآنية والتي سنُسلط الضوء فيها على رسم القراءات القرآنية الصحيحة والتي لا تحتمل إلا قراءة واحدة، وسنُبين في هذا الموضوع جملة امور أهمها: صحة هذه القراءات وان الرسم ليس هو السبب الوحيد في اختلاف القراءات وانما جاء الرسم موافقاً لتلك القراءات.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

إن هذا الموضوع مهما كتبت عليه الكتب والبحوث فهي قليلة لما لها من اهمية في بيان جهود الصحابة ﷺ وما بذلوه في خدمة القرآن ونقله وضبطه، وكذلك بيان صحة القراءات القرآنية والرد على القائلين أنها جاءت بسبب الرسم وأنها جاءت بالاجتهاد محاولين بذلك الطعن والقول بالتحريف، أما جانب القراءات القرآنية الصحيحة ورسمها فهو مهم جداً؛ من حيث بيان صحتها وأن الرسم ليس هو سبب اختلافها وإنما جاء الرسم موافقا لها.

وتظهر أهمية هذه الدراسة من أهمية رسم المصاحف العثمانية الذي هو الأصل لكتابة المصاحف رغم التطور الحاصل وظهور أدوات الضبط والشكل الحديثة.

أهداف البحث ومسوغاته:

إنَّ دراسة هذه القراءات تحمل في طياتها مجموعة من الأهداف والأسباب نجملها بما يأتي:

1. التعرف على مفهوم الرسم والقراءة؟.
2. ما هي الكيفية التي كان عليها رسم المصحف على عهد الرسول ﷺ وصحابته؟
3. إبراز القيمة العلمية للقراءات القرآنية وما علاقة الرسم بالقراءات القرآنية؟ هل الرسم هو السبب في تعدد القراءات؟.
4. الإسهام في إضافة شيء جديد في علم القراءات القرآنية يفيد الباحثين والمتخصصين.
5. مما يؤكد أهمية إبراز هذه الدراسة الوقوف على مواضع ما لا يحتمل من الرسم إلا قراءة واحدة صحيحة في القرآن الكريم؟.

وبناءً على ما تقدم من الأهداف والمسوغات، وقع اختياري على هذا الموضوع المهم.

الدراسات السابقة:

لم أعثر من خلال اطلاعي والتتبع على دراسة تُعنى بالقراءات القرآنية الصحية برسم لا يحتمل إلا

(1) سورة الحجر: الآية: 9.

هذه القراءة.

منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على منهجين؛ لتحقيق المقصود منها، وهما:

1- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع مواضع القراءات القرآنية الصحيحة التي لا تحتمل من الرسم إلا قراءة واحدة وأخذ نماذج منها ودراستها وتوثيقها من مصادرها.

2- المنهج التحليلي: وذلك من خلال بيان هذه القراءات القرآنية وأثرها في المعاني القرآنية وبيان صحتها.

وأمَّا عن خطة البحث، فقد اقتضت أن يكون على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

- فالمقدمة تضمنت الحديث عن أهمية موضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
- المبحث الأول: ذكرت فيه مفهوم الرسم والقراءة وكيف كان رسم المصحف في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة ﷺ، وعلاقة الرسم بالقراءات القرآنية بشكل مختصر.
- المبحث الثاني: وضحت فيه إذا ما كان الرسم هو السبب في تعدد القراءات، ثم ذكرت نماذج من القراءات الصحيحة التي لا تحتمل من الرسم إلا قراءة واحدة مع دراستها وبيانها.
- والخاتمة. وتضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

والله أسأل أن يكتب لهذا البحث القبول، وأن يكون اثراً طيباً لنا من بعدنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه ومن كان على نهجه الى يوم الدين.

المبحث الأول

تعريف الرسم والقراءة ودراسة تاريخية في رسم المصحف وعلاقته في علم القراءات

المطلب الأول: تعريف الرسم والقراءة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الرسم لغةً واصطلاحاً:

الرسم لغةً: مأخوذ من الفعل(رَسَمَ): ومعنى: (رَسَمَ الرَّاءُ وَالسِّينُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْأَثَرُ، وَالْآخَرُ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ، فَالْأَوَّلُ الرَّسْمُ: أَثَرُ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ: تَرَسَّمْتُ الدَّارَ، أَيْ: نَظَرْتُ إِلَى رُسُومِهَا، وَهُوَ مِنَ الْأَثَرِ وَيُقَالُ: إِنَّ الرَّوَاسِيمَ كُتُبٌ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالرَّسِيمُ: ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ وَيُقَالُ: رَسَمَ يَرْسِمُ)[1]، فالرسمُ: الأثرُ المتبقي من الشيء او هو أثرُ الكتابةِ في اللفظِ على المكاتيبِ .

الرسم اصطلاحاً: هو الوضع الذي ارتضاه عثمان ﷺ في كتابة كلمات القرآن وحروفه[2]، او هو تصوير الالفاظ بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها والوقف عليها فالأصلُ في كل كلمة أن تكتب بحسب منطوق حروفها، من غير زيادة أو نقصان، أو إبدال أو غير ذلك، ويعرف بالرسم العثماني، وجل الكلمات القرآنية متفقة مع هذه القواعد وقد خرجت عن هذه القواعد بعض الكلمات فرُسمت بالزيادةِ أو الحذف أو الإبدال، أو غيرها من الظواهر

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، 1399هـ- 1979م، 2|393 - 394.

(2) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، 1/ 369.

التي تضمنها علم الرسم العثماني، وقد حصرها العلماءُ في: الحذف والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما[1].

فالرسم هو: (تصوير كلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها؛ لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية)[2].

ثانياً: القراءة لغةً واصطلاحاً:

القراءة لغةً: مأخوذة من الفعل (قَرَأَ) والجمع قراءات، ويدور معنى القراءة لغةً حول الجمع والاجتماع، والعرب تقول: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[4]، أي قرأته.

قال الراغب الأصفهاني (رحمه الله): «القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل»[5]، وذكر ابن منظور: «قرأت الشيء قرآناً: أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض»[6].

تعريف القراءة في الاصطلاح: لا يختلف معنى القراءة في الاصطلاح عن معناها في اللغة.

فقد عرف الكفوي (**رحمه الله**) القراءة بقوله: (ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، ولا يقال ذلك لكل جمع؛ بدليل أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة)[7].

وقال الزرقاني (**رحمه الله**) هي: (مذهب من مذاهب النطق بالقرآن الكريم، يذهب إليه إمام من الأئمة يخالف غيره مع اتفاق الروايات والطرائق عنه، سواء أكانت المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها)[8].

يقول ابن عاشور(**رحمه الله**): (القراءة هي: تلاوة كلام صدر في زمن سابق لوقت تلاوة تاليه بمثل ما تكلم به متكلمه، سواء كان مكتوبًا في صحيفة، أم كان ملقنًا لتاليه بحيث لا يخالف أصله، ولو كان أصله كلام تاليه، ولذلك لا يقال لنقل كلام أنه قراءة إلا إذا كان كلامًا مكتوبًا أو محفوظًا)[9].

المطلب الثاني: دراسة تاريخية في رسم المصحف وعلاقته في علم القراءات:

أولاً: رسم المصحف في عهد الرسول محمد ﷺ.

من المسَلم به أن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة الوحي فور نزوله، حيث كان كتاب الوحي يتلقونه من عند الرسول ﷺ مباشرة فيسطرونه فيما يتيسر لديهم من وسائل الكتابة من اللخاف والعسيب والرقاع وورق البردى وغير ذلك، ولا يوجد في المنطق والواقع والرواية ما يعكر هذا الفهم، إذ كانت مكة أصلاً بلد ثقافة، والقراء والكتاب فيها

(1) ينظر: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام - حلب، سوريا، ص37.

(2) صفحات في علوم القراءات: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، الطبعة: الأولى، 1415هـ، 166/ 1.

(3) ينظر: مقاييس اللغة: 78/ 5، مادة: (قرأ).

(4) سورة القيامة، الآية: 18-17.

(5) مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر - دار القلم، دمشق، 273/ 3.

(6) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ، 128/ 1، مادة: (قرأ).

(7) الكليات ص 703.

(8) مناهل العرفان: للزرقاني ، 412/ 1.

(9) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، دار سحنون - تونس - 1997م، 253/ 30.

متوافرون، حيث كانت المجامع الثقافية الموسمية في عكاظ والمجنة وذي المجاز وغيرها تفرض على شباب مكة تحصيل جانب من القراءة والكتابة، ولذلك فقد جعل النبي ﷺ فداء الأسير من قريش يوم بدر أن يعلم عشرة من المسلمين في المدينة القراءة والكتابة.

وهكذا فإن قلة عدد الصحابة بمكة مقترن بأن غالبيتهم يحسن القراءة والكتابة، وهو يدفع عنا توهم ضياع شيء من نصوص الوحي، حيث كان النبي ﷺ يتلقى أولاً عن جبريل ثم يقرئ من حوله من الأصحاب، ويأمر بكتابة ذلك في الصحف[1].

ويتبين أن الصحابة ﷺ كانوا متقنين الرسم، عارفين وفاهمين ما يقتضي أن يكتب، وما يقتضي ألا يكتب، وما يقتضي أن يوصل، وما يقتضي ألا يوصل، إلى غير ذلك، لكن خالفوا القواعد في بعض المواضع لحكمة[2].

ولما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة النبوية، وقد بدأ بتنظيم المجتمع الإسلامي؛ كان مما اعتنى به كتابة القرآن، فكتب ما نزل عليه بمكة وإذا نزل عليه شيء من القرآن بالمدينة كتبه، وألَّف، أي: جمع القرآن المكي والمدني على حسب ما أمر به الله جبريل عليه السلام، وقد كان له في المدينة كتَّابٌ معروفون يدعوهم لكتابة ما ينْزل من القرآن، وكان من أخصِّهم بذلك زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه[3].

وقد كان النبي ﷺ يعتني بكتابة القرآن أيما عناية، وكان يطلب أحد كتبة الوحي إذا نزل عليه القرآن، ولقد كان من قدر الله أن يتوفَّى نبيه ﷺ وأن لا يجمع القرآن في مصحفٍ واحدٍ، وهذا ما يشهد له الواقع التاريخي لكتابة القرآن في عهد النبي ﷺ فالحاجة لم تدع إلى ذلك، ولم يقع ما يوجب العمل بهذا الضبط الكتابي المجموع للقرآن الكريم، والكتابة في المصحف تصلح لشيءٍ قد انتهى واستقرَّ، أما الحال بالنسبة للوحي فلم يكن كذلك، إذ قد ينْزل جزء من السورة، ثم ينْزل الجزء الآخر منها فيما بعد، فيُلحق بها، كما أنه قد ينسخ بعض النازل، فلا يقرأ به، فلو كان مجموعاً في كتاب لتعسَّر ذلك الأمر من جهة الإضافة والإزالة[4].

وهكذا فإن النبي محمد ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن عنه من غير أن يأمر باستقصاء ذلك كله في مصحف واحد، وكل ذلك بوحي، فالمسألة توقيفية لا مجال فيها للاجتهاد وكان رسول الله ﷺ يعرض القرآن الكريم في كلّ عام مرة على جبريل الأمين خلال شهر رمضان، وفي سنته الأخيرة عرضه مرتين وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: (إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل شهر رمضان مرّة وإنه عارضني هذا العام مرتين وما أراه إلاّ قد حضر أجلي)[5]، فبذلك تم نزول القرآن كله، وتم ترتيبه

(1) القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني: محمد الحبش، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- السودان، أم درمان، ص 131.

(2) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ، 19/ 185.

(3) ينظر: المحرر في علوم القرآن: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م، ص 150.

(4) ينظر: المحرر في علوم القرآن: مساعد سليمان ناصر الطيار، ص 150 - 151.

(5) الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب

في مواضعه وتم نسخه في الصحف، كل ذلك بأمر منه ﷺ وبين يديه[1].

ثانياً: رسم المصحف في عهد الصحابة ﷺ:

حين توفّي النّبي ﷺ اشتدّت الحاجة لجمع هذه الصحف المكتوبة في مكان واحد تمهيدا لنسخها ضمن المصاحف ليسهل نشرها في الآفاق، وكان عمر بن الخطاب ﷺ أول من رأى ذلك وسعى إليه[2]، فقد روى البخاري(**رحمه الله**) في صحيحه ((أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، «فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ»، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، «فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ»، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟»، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، «فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ،﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[3]، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ﷺ))[4].

وهكذا فإن منهج زيد بن ثابت ﷺ في كتابة القرآن هو اعتماد الوثيقتين المحفوظة والمكتوبة، وقد عثر على سائر آيات القرآن مكتوبة كما كان يحفظها هو وزملاؤه من الصحابة، وهي الوثائق التي كتبت بين يدي رسول الله ﷺ، والخبر يؤكد أنه عثر على أكثر من وثيقة مكتوبة لجميع آيات القرآن إلا وثيقة واحدة مكتوبة، كانت لدى أبي خزيمة الأنصاري، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، فطابق بين حفظه وبين الوثيقة التي وجدها، يؤيّدها تأكيد عشرات الصحابة الحفّاظ، ومنهم زيد بن ثابت، فنسخها في المصحف، وخلال فترة قصيرة جمع القرآن كله بوثائقه الأولى لدى أبي بكر الصّدّيق، فنسخت بين اللوحين، وخرجت إلى الوجود أول نسخة كاملة من القرآن الكريم، بالغة التوثيق والتدقيق، وهي في الوقت نفسه أول كتاب ينسخ بالعربية.

وقيل في عمل زيد بن ثابت ﷺ: رجل كتب مصاحف عديدة، وجرى فيها على أصول له سديدة، لم ينحرف عنها، وقد بقي عمله العظيم أزمانا مديدة، وكان لا يذهل أصلا في المواضع المناسبة عن نكات دقيقة مفيدة[5].

وفي خلافة عمر بن الخطاب ﷺ بقي المصحف

البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 – 1987م، (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام)، 4/ 248 ، حديث رقم (3624).

(1) القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني: محمد الحبش، ص: 132.

(2) المصدر نفسه، ص 86.

(3) سورة التوبة: الآية: 128.

(4) صحيح البخاري (باب: جمع القرآن)، 6/ 183، حديث رقم (4986).

(5) ينظر: شرح العقيلة لموسى جار الله 10.

على حاله لدى عمر، وبقي الاعتماد الأساسي على الحفظ والإقراء، مع الاستعانة بالصحف لدى الصحابة، والمصحف الإمام الموجود لدى عمر بن الخطاب ﷺ[1].

وفي عهد عثمان بن عفان خاف الصحابة ﷺ على الناس من الاختلاف في القرآن بسبب عدم توفر نسخ قرآنية بين أيدي الناس يقرءون بها، وقد توزّع الحفّاظ في الأمصار وعظمت الفتوحات، ودخل الناس في دين الله أفواجا ولم يكن الحفّاظ والقرّاء مهما بلغوا من الكثرة ليستطيعوا أن يقرؤوا الناس جميعا في سائر الأمصار؛ كما كان الأمر في عهد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر (ما).

تبيّن مما سبق أن رسول الله ﷺ توفي وعند المسلمين وثيقتان دقيقتان للقرآن الكريم:

الوثيقة الأولى:

وهي جماعة الحفّاظ الذين قرأوا القرآن على رسول الله ﷺ، وهم لا يقلّ عددهم عن المائة على أقلّ تقدير، ومن هؤلاء الحفّاظ من عرضه مباشرة على رسول الله ﷺ وأقام مجالس الإقراء يقرئ الناس فيها، وقد اشتهر من هؤلاء: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري ﷺ، ومن الصحابة من قرأ على حفّاظ الصحابة في حياة رسول الله ﷺ ومنهم من أتمّ حفظه عقب وفاة رسول الله ﷺ[2].

الوثيقة الثانية:

وهي الوثيقة المكتوبة، فمن المؤكد أن كتبة الوحي القرآني كتبوا كل آية في القرآن الكريم في صحفهم، فقد كان الكتبة يتلقفون الآيات عن رسول الله ﷺ فينسخونها في الصحف فور نزولها، وربما كتب الآية كاتب واحد أو اثنان أو ربما أكثر من ذلك، وعن هذه الصحف، كان كثير من الصحابة ينسخون الآيات في صحفهم الخاصة، بل إن بعض الصحابة جمع لنفسه مصحفا خاصّا كاملا ومنهم: عبد الله بن مسعود، وعائشة وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وحفصة، وأم سلمة، وأبي بن كعب، وغيرهم كثير ﷺ، وهكذا فقد تمّ نسخ خمسة مصاحف موثقة، وزّعت في المدن الرئيسة الخمس وهي: مكة والمدينة ودمشق، والبصرة والكوفة، وربما كانت المصاحف سبعة، وزعت في الأمصار الخمسة واليمن والبحرين، كما ذكرت ذلك بعض الروايات، وبذلك اكتملت الوثيقة الثانية للقرآن الكريم مكتوبة متوفرة في الأمصار[3].

ثالثاً: علاقة رسم المصحف بعلم القراءات.

لقد أنزل اللهُ تبارك وتعالى القرآنَ بلسانٍ عربي مبين، ويسر تلاوته على عباده المؤمنين، ومن مظاهر هذا التيسير أنه راعى فيه طبائع الألسنة واختلاف اللهجات في الأداء من حيث تسهيل الهمز وتحقيقه، والإظهار والإدغام والفتح والإمالة وغير ذلك، حتى لا يشق على الامة، وقد جاء الرسم العثماني محتملاً لهذه القراءات على اختلاف لهجات العرب، فالرسم العثماني يُعدُّ وسيلة هامة للمحافظة على النص القرآني بجانب وسيلة الحفظ في الصدور[4]،

(1) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: محمد حبش: 87 .

(2) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: محمد حبش، ص 87.

(3) ينظر: كتاب المصاحف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: 316هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة – مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ – 2002م، ص 45.

(4) ينظر: الرسم العثماني وعلاقته بالقراءات القرآنية

والعلاقةُ بين الرسم العثماني والقراءات علاقةٌ قويّةٌ ومتينةٌ؛ لأنهُ يترتب على مخالفة الرسم العثماني ترك الكثير من القراءات المتواترة، ومما لا ريب فيه أن المصاحف العثمانية التي تمت كتابتها في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ كُتبت على الترتيب المكتوب في اللوح المحفوظ، بتوقيف أمين الوحي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ على ذلك، وكذلك كُتبت مجردة من التنقيط والتشكيل، ومتفاوتة في الحذف والإثبات، والفصل والوصل وغير ذلك من الأمور المتعلقة بكتابة المصحف[1]، وخلو الرسم من الشكل والنقط يساعد في احتمال القراءات في الكلمة الواحدة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وردت في ثلاث مواضع[2] ورسمت بدون نقط أو شكل، وقد اختلف أهلُ الأداء في قراءتها، فقرأها حمزة والكسائي وخلف:(فتثبتوا) من التثبت، وقرأها الباقون: (فتبينوا) من التبين[3] وجاء الرسم محتملًا للقراءتين.

فالقرآنُ الكريم ظلَّ محاطاً بسياجٍ من الحفظ والرعاية حتى جاء عصر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، فحدث أن وقع خلاف بين القراء وذلك أثناء فتح أرمينية[4] وأذربيجان[5]؛ وذلك بسبب اختلاف قراءة أهل كل مصر من الأمصار تبعاً لقراءة من أرسل إليهم من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار يُعلّمون الناس كما عُلِّموا، ولم يقفْ الأمر عند هذا الخلاف بل اشتد الأمر على ذلك حتى كادوا أن يُكفر بعضهم بعضاً نظراً للاختلاف الأدائي في القرآن الكريم، وهال ذلك بعض الصحابة ومنهم حذيفة ابن اليمان ﷺ، الذي سرعان ما قام برفع الأمر إلى أمير المؤمنين عثمان ﷺ قائلاً له: (يا أمير المؤمنين أدرك الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى) فرأى الخليفة الراشد بثاقب رأيه أن يجمع أصحابه ويعرض عليهم الأمر مستشيراً إياهم فيه، فانتهى أمرهم بالإجماع على وأد الفتنة في مهدها وذلك عن طريق استنساخ عدة مصاحف تكون موافقة لقراءة هذه الأمصار، ولأجل هذا الغرض أرسل الخليفة عثمان ﷺ إلى السيدة أم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها)، أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها ثم نردها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن حارث فنسخوها

المتواترة: بشير أحمد أحمد دعبس، ص 1117.

(1) ينظر: الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني: محمد محمد محمد سالم محيسن، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، 1445هـ، ص73 – 74.

(2) سورة النساء: آية: 94، وسورة الحجرات: آية: 6.

(3) الإقناع في القراءات السبع: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (المتوفى: 540هـ)، دار الصحابة للتراث، ص 393.

(4) أرمينية: بلد معروف يضم مدن كثيرة ، فتحها سليمان بن ربيعة الباهلي سنة 24هـ، ينظر: معجم ما استعجم من الأسماء والبلاد والمواضع : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ)، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ ، 1/ 141 – 142.

(5) أذربيجان: مدينة تلي الجبل من بلاد العراق وتلي مدن أرمينية من جهة المغرب ، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: 900هـ)، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، الطبعة الثانية، 1980م ، 1/ 20.

في المصاحف[1] وقال عثمان للقريشيّين الثلاثة: (إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ)[2].

يتبين لنا ان سيدنا عثمان ﷺ اثبت القراءات الصحيحة المتواترة الثابتة على تلك النسخ المتعددة وبذلك فإن هناك ارتباطاً وثيقاً بين نسخ المصاحف العثمانية والقراءات القرآنية الصحيحة، فالمصاحف العثمانية جاءت جامعة لكل ما ثبتت قرآنيته، كما أنها جاءت مجردة من كل شيء سوى القرآن الكريم مما كان قد أثبته بعض الصحابة في مصاحفهم مما هو منسوخ أو زيد على وجه التفسير ونحوه[3].

وارسل سيدنا عثمان ﷺ مع كل نسخة إماماً مُجيداً للقراءات الثابتة ليُعلم الناس، فأمر زيد بن ثابت أن يقرأ بالمدني، وبعثَ عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن قيس مع البصري فلم يكتفي بإرسال النسخ الى الامصار الاسلامية بل ارسل معها من يوافق قراءتها[4].

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت موافقة الرسم العثمانية ركناً من اركان صحة القراءات القرآنية، وهذا يوضح بجلاءٍ العلاقة الوثيقة بين القراءات القرآنية والرسم العثماني، لذلك أوجب العلماء اتباع الرسم العثماني في الكتابة، واشترطوا موافقة الرسم لصحة القراءة وقبولها واعتبروا ذلك ركناً أساسياً من الأركان الواجب توافرها للقراءة[5].

المبحث الثاني

ما لا يحتمله من الرسم إلا قراءة واحدة

المطلب الأول: الرسم ليس سبباً في تعدد القراءات.

من المُسلَّم به أن القرآن الكريم معجز في مبناه ومعناه، وبليغ فصيح في لفظه ومحتواه، فروعي في حفظه وكتابته ورسمه بهجاء يحمل معاني متعددة وصور وأغراض بلاغية كثيرة.

فحفظ لنا الرسم العثماني وجوه القراءات الصحيحة المتواترة، فرسمه لا ينفك عن قراءاته وأداءه، فالتغيير في رسمه يلزم منه تغيير في بعض وجوهه، فلتنوع أغراضه اختلفت رسومه في الخط، ومن ثم عدّه[6].

ومن بلاغة الرسم وفصاحته ما لاحظه كتاب المصاحف في رسم هجاء المصاحف أن الكلمة إذا وردت فيها قراءات رسموها بصورة تؤدي جميع الأوجه المنزلة، وذلك بتجريدها من النقط والشكل، وإن الصحابة ﷺ لما كتبوا المصاحف كتبوها بلا تنقيط ولا تشكيل، وبذلك يحتمله الرسم ما كان في العرضة الأخيرة مما صحّ عن النبي ﷺ.

ولما خلا رسم المصاحف من النقط والشكل

(1) ينظر: الرسم العثماني وعلاقته بالقراءات القرآنية المتواترة: بشير أحمد أحمد، ص1097 - 1098.

(2) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم الحديث: 4986، 6/ 183.

(3) ينظر: الرسم العثماني وعلاقته بالقراءات القرآنية المتواترة : بشير أحمد أحمد دعبس، ص 1099.

(4) ينظر: دليل الحيران على مورد الظمآن: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي (المتوفى: 1349هـ)، دار الحديث- القاهرة، ص 17.

(5) ينظر: الرسم العثماني وعلاقته بالقراءات القرآنية المتواترة : بشير دعبس، ص 1101 - 1106.

(6) ينظر: المضبوط في القراءات مخطوط رقم 1772/ 1 فيلم في مكتبة الجامعة الإسلامية.

يكـون الخـط الواحـد محتمـل كلا اللفظـين المنقولـين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين[1].

والأمثلة على هذا النمط كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾[2] رسمت في المصحف العثماني دون نقط، ولا شكل، ولا تشديد، ولا تخفيف، ولا ألف ولا ياء[3]، فرسمها بهذه الكيفية، ومجيئها على هذه الحال أدى جميع القراءات التي رويت بأسانيد متواترة صحيح.

فكما أن القرآن معجز مخالف لنظم كلامنا، كتبوه على ما يخالف خطهم رعاية لتأدية هذه الأحرف المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى[4]، فبلاغة الرسم واهميته وفصاحته لا تقل أهمية عن بلاغة اللغة العربية وفصاحتها التي نزل بها القرآن الكريم.

فلغة العرب تشرفت وعلت بأنها نزل بها القرآن الكريم، ولاحظ الصحابة في كتابتهم للقرآن، وبالأخص منهم كتبة المصاحف ومنهم زيد بن ثابت في رسم حروف القرآن، بطريقة خاصة وهجاء متميز لاستيعاب الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وذهب اكثر القراء وأهل الأداء إلى أن رسم المصاحف العثمانية كتب بهذه الكيفية، لتشتمل الأحرف السبعة، وعللوا هذا الاختلاف بعلل لغوية ونحوية.

وفي ذلك يقول فضيلة الدكتور غانم قدوري الحمد: (وهذا الاتجاه أقرب إلى الحق والواقع)[5].

وخير من يمثل هذا المذهب إمام الإقراء أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444 هـ)، فقد قال: (وليس شيء من الرسم، ولا من النقط، اصطلح عليه السلف، رضوان الله عليهم، إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب، وقصدوا فيه طريقا من اللغة والقياس، لموضعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم)[6].

اقول في ضوء ما تقدم من بحث واستقراء أنَّ الرسم لم يكن السبب الوحيد في تعدد القراءات وانَّما هذه القراءات لا سيما الصحيحة المتواترة الثابتة جاءت منزلة من عند الله تعالى على رسولنا الكريم ﷺ بواسطة حامل الوحي جبريل عليه السلام وقد رسمت المصاحف بهذه الهيكلية وهذه الصورة والطريقة نتيجة تلك القراءات كي تحتملها، وهذا من حفظ الله عز وجل لكتابه المنزل على سيدنا محمد ﷺ.

المطلب الثاني: ما لا يحتمل من الرسم إلا قراءة واحدة.

ولنأخذ الآن آيات قرآنية ورد فيها خلاف في الرسم بين المصاحف العثمانية والتي جاءت برسم لا يحتمل إلا قراءة واحدة من القراءات الثابتة المتواترة الصحيحة:

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾[7]:

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى: 1380هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، 2/ 33.

(2) سورة طه : من الآية 62

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، 2/ 320؛ ومناهل العرفان: للزرقاني، 1/ 374.

(4) ينظر: أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد المكتبة التجارية – مصر، الطبعة الرابعة، 1963م، ص242.

(5) مختصر التبيين لهجاء التنزيل،1/ 234.

(6) ينظر: رسم المصحف: شعبان محمد إسماعيل، 205.

(7) سورة البقرة: الآية: 116.

فيها قراءتان (وقالوا) بواو وبدونها، و(الجمهور)[1] على قراءة: وقالوا بالواو، وهو آكد في الربط، فيكون عطف جملة خبرية على جملة مثلها، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾[2]، فيكون معطوفٌ على معطوف على الصلة، وفصل بينهما بالجمل الكثيرة، وهذا بعيد جدا، ينزه القرآن عن مثله، وقرأ ابن عباس وابن عامر من السبعة: قالوا بحذف الواو، ويكون على استئناف الكلام، أو ملحوظا فيه معنى العطف، واكتفى بالضمير والربط به عن الربط بالواو[3]، وقيل حجة ابن عامر أنه استأنف القول مخبرا به ولم يعطفه على ما قبله، ام الباقون أنهم عطفوا جملة على جملة، وأتوا بالكلام متصلا بعضه ببعض، وكلٌّ من كلام العرب[4].

نلاحظ انه لا فرق بين القراءتين من الناحية الإعرابية على القول الاول، لكن قراءة ابن عامر {قالوا اتخذ الله ولدا} بغير واو هي في مصاحف أهل الشام هي لا تحتمل إلا هذه القراءة في هذا الرسم وقراءة الباقين بالواو هي في مصاحف أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة هي ايضاً لا تحتمل إلا هذا الوجه[5].

أقول: بما أن القراءتين قد وافقت المصاحف العثمانية والمنسوبة إلى الخليفة عثمان ﷺ وأمر بكتابتها، ولو تقديراً بغير صراحة فقد ثبت (في إمام أهل الشام وأهل الحجاز: (قالوا اتخذ الله ولدا)، وفي إمام أهل العراق {وقالوا})[6]، ولها وجه في لغة العرب وصح سندها فالقراءتين صحيحتين ثابتتين لا يجوز تضعيف أحدهما على حساب الاخرى، وليس الرسم هو سبب القراءة هذه أو تلك وإنما جاء مكمِّلٌ لأركان القراءة الصحيحة.

الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾[7]:

وهي قراءة جمهور القراء العشرة، وقراء نافع وابن عامر وأبو جعفر (وأوصى) بزيادة الالف[8].

وقد ثبت وجود القراءتين في رسم المصاحف العثمانية ففي إمام أهل الشام والحجاز (وأوصى بها إبراهيم بنيه)، وفي إمام أهل العراق {ووصى} من غير ألف[9].

---

(1) المراد بالجمهور: القراء السبعة أو العشر ما عدا ابن عامر ينظر: كتاب السبعة في القراءات ، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ ، 1/ 169؛ والمبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، 1981م، 1/ 134.

(2) سورة البقرة: الآية: 114.

(3) ينظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420هـ، 580/ 1؛ وإعراب القرآن: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (المتوفى: 458هـ)، 270/ 1.

(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب- جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401هـ ، 88/ 1.

(5) ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد، 1/ 169.

(6) كتاب المصاحف: لابي داود السجستاني، 1/ 151.

(7) سورة البقرة: الآية: 132.

(8) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، 137/ 1؛ والحجة للقراء السبعة، 2/ 227،

(9) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو

والمعنى لمن قرأ (وأوصى)، بمعنى: عهد، وأما من قرأ (ووصى) مشددة، فإنه يعني بذلك أنه عهد إليهم عهدا بعد عهد، وأوصى وصية بعد وصية[1].

والتقدير أن الجملة من قوله: «يا بني» وما بعدها منصوبة بقول محذوف على رأي البصريين، أي: فقال يا بني، وبفعل الوصية؛ لأنها في معنى القول على رأي الكوفيين، يتبين أنهما لغتان من لغات العرب[2]، والقراءتان (وَوَصىَّ): بِتَّشْدِيدِ الصاد مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَأَوْصَى بِالْأَلِفِ؛ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ[3].

أقول: يتبين مما سبق أن القراءتين صحيحتان ثابتتان وقد توفرت فيهما أركان القراءات الصحيحة وإن كان الرسم لا يحتمل كلا القراءتين فهذا ليس دليل على أن الرسم هو سبب اختلاف القراءات ما دام يعضدها السند الصحيح ولغة العرب فالقراءة سنة متبعة لا تجوز بالرأي.

الآية الثالثة: قال الله تعالى:﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[4]، في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو ثابتة فيما عداها[5] فمن لم يثبت الواو استأنف وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، وقرأ الباقون من العشرة بإثبات الواو عطفاً على ما قبله من الأوامر[6].

أقول يتبين لي مما سبق أن القراءتين صحيحتان فإن الواو ساقطة من رسم مصاحف المدينة والشام ثابتة في رسم ما عداها من المصاحف، وجاء ما يؤيد صحة القراءتين من صحة السند ولغة العرب، (فمن قرأ بالواو فلأنّه عطف الجملة على الجملة، والمعطوف عليها قوله:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[7] وسارعوا. ومن ترك الواو فلأنّ الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بالتباسها بها عن عطفها بالواو)[8] وبذلك فإن الرسم لم يكن هو سبب اختلاف القراءتين وإنما جاء مؤيداً وموافقاً للقراءة الصحيحة الثابتة المقروء بها.

العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 142/ 2؛ وكتاب المصاحف، لابي داود السجستاني، 1/ 151.

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م ، 3/ 96.

(2) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي، 2/ 125.

(3) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : 616هـ) المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1/117 .

(4) سورة ال عمران: الآية: 133.

(5) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407هـ، 1/ 415 ؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: 3/ 394 ؛ وكتاب المصاحف، لابن ابي داود: 1/ 151.

(6) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 3/ 354؛ والسبعة في القراءات، لابن مجاهد: 1/ 216، وينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: 2/ 242؛ والتبيان في إعراب القرآن للعكبري: 292/ 1 ؛ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: 1117هـ)، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة، 2006م – 1427هـ، 1/ 228.

(7) سورة آل عمران: الآية: 132.

(8) الحجة للقراء السبعة، لابي علي الفارسي: 3/ 78.

الآية الرابعة: قال الله تعالى﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1]:

قُرأت بالواو والرفع وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف[2] وهي ثابتة في إمام أهل العراق[3].

(وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: يقول الذين آمنوا* بغير واو في أولها ورفع اللام، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة ومكة)[4].

وذكر أصحاب التفاسير القراءتين واحتجوا لمن قرأ «يقول» من غير واو بأنها جملة مستأنفة سيقت جوابا لسؤال مقدر، كأنه جواب قائل: ماذا قال المؤمنون حينئذ؟ فأجيب بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ....﴾ وهو واضح، والواو سقطت في مصاحف مكة والمدينة والشام، والقارئ بذلك هم أصحاب هذه المصاحف، فإن القارئين بذلك فقراءتهم موافقة لمصاحفهم، وليس في هذا أنهم إنما قرؤوا كذلك لأجل المصحف فقط، بل وافقت روايتهم مصاحفهم، وأما من قرأ بالواو والرفع فالواو استئنافية لمجرد عطف جملة على جملة، فالواو ثابتة في مصاحف الكوفة والمشرق، والقارئ بذلك هو صاحب هذا المصحف[5].

أقول: يتضح لي مما اطلعت عليه أن القراءتين صحيحتان متواترتان ولا اشكال في ذلك مادام يعضد القراءتان السند الصحيح والوجوه الاعرابية وهي ثابتة في المصاحف العثمانية وإن كان الرسم في مصاحف أهل العراق لا يحتمل قراءة الرسم في مصاحف مكة والشام فقد رسم أصحاب هذه المصاحف مصاحفهم موافقة لقراءتهم بالسند الصحيح.

الآية الخامسة: قال الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾[6]:

جاءت في (يرتدَّ) قراءتان فقُرأت بدال مشددة (يرتدَّ) وهي قراءة ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي من السبعة وهي لغة تميم وهي ثابتة في رسم مصحف الكوفة والبصرة، وقرأ (المدنيان)[7] وابن عامر من العشرة (يرتدِدْ) بدالين وهي لغة اهل الحجاز وهي ثابتة في مصاحف المدينة والشام[8].

واحتج الزجاج (رحمه الله) للقراءتين بأن القراءة سنَة لا تُخَالف فإذا كان في كل المصحف الحرف على صورة لم تجز القراءَة بغيره والذي في سورة البقرة لا يجوز فيه إلا من (يرتَدِدْ) لإطباق أهل الأمصار على إظهار التضعيف وكذلك هو في مَصَاحفهم، اما في سورة المائدة (يرتدَّ) بالإدغام والفتح وهي قراءَة الناسِ إلا أهلَ المدينة فإن في مصحفهم (يرتدِدْ)

(1) سورة المائدة: الآية: 53.
(2) ينظر: الحجة للقراء السبعة، لابي علي الفارسي: 3/ 229،
(3) ينظر: كتاب المصاحف، لابن ابي داود: 1/ 151.
(4) الحجة للقراء السبعة، لابي علي الفارسي: 229/ 3 .
(5) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: 10/ 410 – 409؛ والبحر المحيط في التفسير، لابن حيان: 4/ 294 ؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: 4/ 300 – 301.
(6) سورة المائدة: من الآية: 54.
(7) المقصود بالمدنيين: نافع من السبعة وابو جعفر من العشرة، ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 2/ 255،
(8) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، 10/ 420 ؛ والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 1/ 644 ؛ والبحر المحيط في التفسير، لابي حيان، 4/ 297 ؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: 4/ 306 ؛ وكتاب المصاحف، لابن ابي داود: 1/ 149 ؛ والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، 1/ 132.

وكلاهما صواب[1].

وقال ابو علي الفارسي بعدما احتج للقراءتين: (وقد جاء التنزيل بالأمرين جميعا)[2]، وبذلك يمكن ان يقرأ (يَرْتَدَّ) بفتح الدال وتشديدها على الإدغام، وحرك الدال بالفتح لالتقاء الساكنين، ويقرأ: (يَرْتَدِدْ) بفك الإدغام، والجزم على الأصل[3].

قلت: بعد القراءة والتحليل لأقوال العلماء فإنَّ القراءتين متواترتان مستفيضتان في قراءة الأمصار فبأيهما قرأ القارئ فقد أصاب، وأما اختلاف الرسم فلم يكن السبب في اختلاف القراءات وإن لم يحتمل الرسم القراءة الثانية، ولم يأتي إلا لموافقة السند والسنة المتبعة في القراءة والله سبحانه وتعالى أنزل القرآن بلغة العرب وجاءت القراءتان موافقتان للغة العرب، فرسمت مصاحف الامصار موافقة للقراءة التي أخذوها مشافهةً من فم النبي ﷺ.

الآية السادسة: قال الله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾[4]:

قرأ (الجمهور)[5] (وَلَلدَّارُ) بلامين، الأولى لام الابتداء، والثانية للتعريف، وقرأ ابن عامر: (ولَدارُ) بلام واحدة هي لامُ الابتداء وقراءةُ ابن عامر موافقةٌ لمصحفه؛ فإنها رُسِمَتْ في مصاحف الشاميين بلامٍ واحدة[6]، وفي إمام أهل العراق بلامين[7].

فقراءة ابن عامر بلام واحدة كما هي في المصحف الشامي وهي لام الابتداء وتخفيف الدال و(الآخرة) بخفض التاء على الإضافة إما على حذف الموصوف أي: لدار الحياة أو الساعة الآخرة وإما للاكتفاء باختلاف لفظ الموصوف وصفته في جواز الإضافة، وقرأ باقي القراء بلامين لام الابتداء ولام التعريف مع التشديد للإدغام، ورفع الآخرة على أنها صفة للدار، وخبر خبرها وعليه بقية الرسوم وهي في مصاحفهم[8].

قال العكبري (رحمه الله): (وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ): يُقْرَأُ بِالْأَلِفِ وَاللَّام وَرَفْعُ الْآخِرَةِ عَلَى الصِّفَةِ؛ وَالْخَبَرُ (خَيْرٌ)، وَيُقْرَأُ (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) عَلَى الْإِضَافَةِ؛ أَيْ: دَارُ السَّاعَةِ الْآخِرَةِ، وَلَيْسَتِ الدَّارُ مُضَافَةً إِلَى صِفَتِهَا؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفُ فِي الْمَعْنَى، وَالشَّيْءُ لَا يُضَافُ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَدْ أَجَازَهُ الْكُوفِيُّونَ[9].

أقول: من خلال القراءة والتحليل أن القراءتين متواترتان ثابتتان وإن كان الرسم لا يحتمل القراءة الاخرى فهذا ليس دليل على ضعف أحدهما أو أن الرسم هو سبب الاختلاف الحاصل بين القراء؛ لأن هذا الرسم أو ذاك إنما جاء مؤيد للقراءة لا اختراع أو رأي واجتهاد؛ لأن القراءة سنة متبعة.

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج(المتوفى: 311هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ- 1988م، 290/ 1.

(2) الحجة للقراء السبعة، لابي علي الفارسي، 3/ 232.

(3) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، 1/ 445.

(4) سورة الأنعام: الآية: 32.

(5) المراد ب(الجمهور) جمهور القراء الاربعة عشر، ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: 256/ 1 ؛ والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 257/ 2 ؛ وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي 262/ 1.

(6) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، 600/ 4 ؛ والقراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني : محمد الحبش، 1/ 97.

(7) ينظر: كتاب المصاحف، لابن ابي داود، 1/ 151.

(8) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: 257/ 2 ؛ وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي: 1/ 262.

(9) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: 490/ 1.

الآية السابعة: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم﴾[1]:

قرأ الجمهور(أَنجَيْنَاكُم) بالياء والنون قبل الالف[2]، وهي ثابتة في إمام أهل العراق، اما في إمام أهل الشام وأهل الحجاز (وإذ أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون وهي قراءة ابن عامر[3].

فقراءة ابن عامر(وإذ أنجاكم من آل فرعون) بغير ياء ولا نون وهو في مصاحفهم معنى ذلك وإذ أنجاكم الله، اما قراءة الباقون {وإذ أنجيناكم} بالياء والنون أخبر جل وعز عن نفسه بلفظ الملوك[4].

أقول: ان القراءتين متواترتان وأن اختلاف الرسم جاء موافقاً لما قرأ به كل قوم ولم تأتي القراءة نتيجة لاختلاف الرسم ولا ضير من عدم احتمال كل رسم للقراءة الاخرى لصحة السند المقروء به لكل قراءة.

الآية الثامنة: قال الله تعالى:﴿خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[5]:

فإن (منها) فيها قراءتان الأولى: فهي قراءة أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي (خيرا مِنْهَا) من غير الميم بعد الهاء على الافراد وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة وأهل الكوفة.

أما القراءة الاخرى: فهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر من السبعة (خيرا مِنْهُمَا) بزيادة الميم بعد الهاء على التثنية وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام[6].

فمن قرأ (منهما منقلبا) بزيادة ميم حجتهم قوله قبلها {جعلنا لأحدهما جنتين}، فذكر جنتين فكذلك (منهما منقلبا) ومن قرأ {منها منقلبا} بغير ميم فحجتهم قوله {ودخل جنته وهو ظالم لنفسه}[7] فالإفراد من حيث كان أقرب إلى الجنة المنفردة من قوله:﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[8]. والتثنية لا تمتنع لتقدم ذكر الجنتين[9]، فمن قرأ (مِنْهُمَا) على التثنية فالضمير عائد على الجنتين، ومن قرأ (مِنْهَا) على التوحيد فالضمير عائد على الجنة المدخولة[10].

والمعنى كما أعطاني هذه الجنة فِي الدنيا، سيعطيني فِي الآخرة أفضل منها لكرامتي عليه، ومن قرأ (مِنْهُمَا) رد الكناية إلى الجنتين اللتين تقدم ذكرهما[11].

---

(1) سورة الأعراف، الآية : 141.

(2) ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: 1/ 293 ؛ والتيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، المحقق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1404هـ/ 1984م، 113/ 1.

(3) ينظر: المصاحف، لابن ابي داود: 152/ 1 ؛ والتيسير في القراءات السبع، للداني: 113/ 1، ؛ والقراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني، لمحمد الحبش: 97/ 1.

(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب- جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401هـ 1/ 294.

(5) سورة الكهف: الآية: 36.

(6) ينظر: المصاحف، لابن ابي داود، 144/ 1؛ والسبعة في القراءات، لابن مجاهد: 390/ 1 ؛ وحجة القراءات، لابن زنجلة: 1/ 417-416 ؛ والحجة للقراء السبعة، لابي علي الفارسي: 5/ 144.

(7) ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة: 1/ 417-416.

(8) سورة الكهف: الآية: 35.

(9) الحجة للقراء السبعة، لابي علي الفارسي: 144/ 5.

(10) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لابن حيان: 176/ 7 177- ؛ والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري: 847/ 2.

(11) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: 3/ 149 ؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: 192/ 3؛ وفتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير،

قلتُ: إن هذا الخلاف هو خلاف تنزيل رحمة بهذه الامة لا اختلاف رسم وخط المصاحف، وجاء هذا الرسم والخط موافقاً للقراءة المتواترة التي وردت عن أئمة تلك الأمصار وخُطت مصاحفهم موافقة لقراءتهم وإن كان ذلك الرسم لا يحتمل القراءة الاخرى، فلم يكن الرسم هو سبب الخلاف بل جاء الرسم مؤيداً لهذه القراءة أو تلك فلو لم يكن ذلك الرسم ثابتاً في المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه الموافق للسند الصحيح.

الآية التاسعة: قال الله تعالى:﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾[1]:

قرأ أبو عمرو(سيقولون الله)، (سيقولون الله) بالألف فيهما وقرأ الباقون (لله)، (لله) في الآيتين[2]، وايضاً قرأ يعقوب من العشرة بالألف في الآيتين[3].

قال الطبري(رحمه الله): (وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: (سَيَقُولُونَ للهِّ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق والشَام: (سَيَقُولُونَ للهِّ) سوى أبي عمرو، فإنه خالفهم فقرأه: «سَيَقُولُونَ الله» في هذا الموضع، وفي الآخر الذي بعده إتباعا لخط المصحف، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار، إلا في مصحف أهل البصرة، فإنه في الموضعين بالألف، فقرءوا بالألف كلها اتباعا لخط مصحفهم...)[4].

وذكر ابن الجزري (رحمه الله): اختلاف القراء في: (سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ)، في الموضعين، فقرأ البصريان بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيهما ورفع الهاء من الجلالتين، وكذلك هو في رسم المصاحف البصرية، وقرأ الباقون (لله، لله) اي في الآيتين بغير ألف وخفض الهاء، وكذا هو في رسم مصاحف الحجاز والشام والعراق[5].

يتضح أن المعنى في القراءتين: الذين قرأوا (الله) بالألف فلا تكلف في قراءتهم؛ لأنهم أجروا الجواب على الابتداء، وردّوا بذلك مرفوعاً على مرفوع؛ وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم: قل من رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، سيقولون ربّ ذلك الله، فمن قرأ (الله) فعلى ما يقتضيه اللفظ من جواب السائل.

وأما الذين قرءوا (لله) في الآيتين بغير ألف[6]، فإنهم قالوا: معنى قوله:﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[7]: أي لمن السماوات؟ لمن مُلك ذلك؟ فجعل الجواب على المعنى، فقيل: لله؛ لأن المسألة عن مُلك ذلك لمن هو؟ قالوا: وذلك نظير قول القائل لرجل: مَنْ مولاك؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل، فيقول: أنا لفلان[8].

قلت: وأياً كان المعنى، وإن كان الرسمُ في القراءتين لا يحتمل احداهما القراءة الأُخرى فالصواب في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء

دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ، 3/ 339.

(1) سورة المؤمنون، من الآيات: 87 – 89 .

(2) ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد، 1/ 447 ؛ حجة القراءات، لابن زنجلة: 1/ 490 ؛ والتيسير في القراءات السبع، للداني، 1/ 160.

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 2/ 329 ؛ وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، 1/ 405.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، 19/ 63.

(5) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 2/ 239.

(6) الآيتين:(87 و89) من سورة المؤمنون.

(7) سورة المؤمنون: الآية: 86.

(8) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: 19/ 63 ؛ والوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: 3/ 296 ؛ وتفسير القرآن، للسمعاني: 3/ 487 ؛ وفتح القدير، للشوكاني: 3/ 586.

من القرّاء، متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب؛ لأن القراءة سنة متبعة لا اجتهاد ورأي[1].

الآية العاشرة: قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[2]:

فيها قراءتان فقرأ (الجمهور)[3] (فبما) وهي في (إمام أهل العراق)[4] وفي المصحف الشامي والمدني (بما كسبت) من غير فاء وقرأ بذلك نافع وابن عامر وأبو جعفر[5].

فمن قرأ بـ (الفاء) فإن ما في أصابكم هي الشرطية، ولهذا دخلت الفاء في جوابها على قراءة الجمهور، ولا يجوز حذفها عند سيبويه والجمهور، وجوز الأخفش الحذف وقيل: هي الموصولة، فيكون الحذف والإثبات جائزين، والأول أولى[6].

وذهب الزجاج على أن إثبات الفاء أجود؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط، ويكون المعنى ما تُصِبْكُمْ من مُصِيبَةٍ فبما كسبت أيديكم[7].

ومن حذف الفاء فعلى أن: ما موصولة، بمعنى: الذي، والمعنى: الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم[8].

قال العكبري (رحمه الله): ((فبما كسبت): جوابه، والمراد بالفعلين الاستقبال، ومن حذف الفاء من القراء حمله على قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[9] وعلى ما جاء من قول الشاعر: من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن تجعل (ما) على هذا المذهب بمعنى الذي، وفيه ضعف)[10].

أقول: وأياً كانت تلك الاقوال والمذاهب فان القراءتين صحيحتان وإن رجح علماء النحو بين القراءتين ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى وهذا غير مرضي والقراءتين مشهورتين معروفتين مستفيضتين كليهما متقاربتان في المعنى.

وقبل الخاتمة أريد أن أُنبه على أمر يجب الحذر منه وهو الترجيح بين القراءات المتواترة لا الاختيار وقد سها بعض علماء اللغة والتفسير في الترجيح بينها فإن المعول عليه الترجيح لا يجوز؛ لأن القراءات الصحيحة هي كلام الله تعالى وهي قرآن ولا يجوز ان يخضع القرآن لأقيسة العربية بل العربية تخضع للقرآن؛ لأنه هو الذي حفظها لا هي التي حفظته.

وقد حذر العلماء من الترجيح بين القراءات المتواترة ترجيحاً ينقص من القراءة الأخرى أو يسقطها، وقد شددوا في ذلك؛ لأنه يؤدي إلى إسقاط جزء من القرآن الكريم باعتبار القراءتين صدرتا عن رسول الله ﷺ فما كان قراءةً لنا هو قرآنٌ لغيرنا، وما كان قرآناً لنا قد يكون قراءة لغيرنا، فتكون كلا القراءتين قرآناً، وإلى هذا أشار النبي ﷺ حيث قال:

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: 63/ 19.
(2) سورة الشورى: الآية: 30.
(3) المرد (بالجمهور) جمهور القراء العشرة ما عدا نافع وابن عامر وابو جعفر. ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: 1/ 581 ؛ وحجة القراءات، لابن زنجلة: 642/ 1 ؛ والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري: 2/ 367.
(4) اي في مصاحف أهل العراق وهم الكوفيين والبصريين قال النحاس: ((فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) هذه قراءة الكوفيين والبصريين، وكذا في مصاحفهم، وقرأ المدنيون (بما) بغير فاء، وكذا في مصاحفهم). إعراب القرآن، للنحاس: 4/ 57.
(5) ينظر: المصاحف، لابن ابي داود: 1/ 153 ؛ والسبعة في القراءات، لابن مجاهد: 1/ 581، وينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: 367/ 2 ؛ والحجة للقراء السبعة، لابي علي الفارسي: 6/ 128.
(6) ينظر: فتح القدير، للشوكاني: 4/ 617.
(7) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 4/ 399.
(8) ينظر: فتح القدير، للشوكاني: 4/ 617.
(9) سورة الأنعام: الآية ، 121.
(10) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: 1133/ 2.

لأحد الصحابة ﷺ: (أحسنتَ)[1]،

وفي حديث أخر: (أصبتم)[2]، وفي الحديث الأخر: (هكذا أنزلت)[3]، فصوّب النبي ﷺ قراءة كل المختلفين، وصرح بأنها كذلك أنزلت من عند الله عز وجل، وبهذا فإن اختلاف القراء كلٌّ حق والصواب نزلت من عند الله وهو كلامه لا ريب فيه، فكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حقٌ وصوابٌ نؤمن به، ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف القراءات الصحيحة إلى من أُضيف إليه من الصحابة وغيرهم، أنما هو أضبط له وأكثر قراءةً وإقراءً به فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الاضافة أضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد[4].

قال القرطبي (**رحمه الله**): (القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواتراً يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تتلقى من النبي ﷺ ولا يُشكُّ أحدٌ في فصاحته)[5]، وبين الداني (**رحمه الله**) بأن أئمة القراء لا تقرأ في شيء من حروف القرآن على الأقيس في العربية بل على الرواية والنقل الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ فإذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها[6].

مما سبق يتبين لنا أن الكلمات المذكورة في النماذج التي بينتها أنها كُتبت برسمين مختلفين في المصاحف التي كتبت في عهد عثمان بن عفان ﷺ ولا تحتمل القراءة الأخرى وكلها صحيح يُقرأُ به؛ وذلك ليتفق رسم كل مصحف مع القراءة التي يقرأ بها؛ لأنه لو كتبت المصاحف كلها برسم واحد لما كان هناك ما يدل على احدى القراءتين.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتيسيره وعونه تُقضى المهمات، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، والداعي إلى الله بإذنه، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فبعد رحلة ماتعة قضيتها بين صفحات الكتب، ومتون العلم، ومفردات البحث، أصلُ فيها إلى نهاية المطاف، فأضع الترحال، في ختام بحثي الموسوم بـ (**ما لا يَحتَمِلُ مِنَ الرَّسْمِ إلا قِراءَةً واحِدةً**).

من خلال الدراسة الاستقرائية التحليلية يتبيَّن لي أن رسم المصاحف العثمانية هو من أهم الوسائل التي ساعدت وساهمت على حفظ وصون القراءات القرآنية، وهو من أهم المواضيع التي اهتم بها علماء الامة وأفردوها بالدراسة والتصنيف قديماً وحديثاً،

---

(1) صحيح البخاري، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ : 6/ 186، رقم الحديث (5001).

(2) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي - بيروت، باب: بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف: 1/ 562، رقم الحديث (861) ؛ ومسند الامام أحمد: 29/ 355، رقم الحديث (17821).

(3) الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 - 1987م، باب: كلام الخصوم بعضهم في بعض: 3/ 122، رقم الحديث(2419).

(4) ينظر: النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، 1/ 52.

(5) الجامع لأحكام القران للقرطبي: 1/ 4/ 5.

(6) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع: لأبيي: 1/ 51.

ولقد تناول هذا البحث مفهوم الرسم والقراءة، وعلاقة الرسم بالقراءات القرآنية، وهل كان الرسم سبباً في تعدد القراءات؟ ثم ذكرتُ نماذج في القراءات التي لا تحتمل من الرسم إلَّا قراءة واحدة يحتملها رسم أحد المصاحف.

وبعد أنَّ منَّ الله ﷻ عليَّ بإتمام هذا البحث رأيت من المفيد أنْ أختمه بخُلاصة لأهم النتائج، التي توصلت إليها، وعلى النحو الآتي:

أولاً: أهم النتائج والتوصيات:

1. إنَّ الصحابة (رضي الله عنهم) قد اهتموا واتقنوا رسم المصاحف، وكانوا عارفين ما يقتضي أن يُكتب، وما لا يُكتب.

2. أن نبينا ﷺ توفي وعند المسلمين وثيقتان دقيقتان للقرآن الكريم هما الصدور والسطور فالصدور هم حفظة القرآن من الصحابة (رضي الله عنهم) الذين أتقنوا حفظه، والسطور هو ما كتبه كتبة الوحي الذين اختارهم رسول الله ﷺ لكتابة القرآن الكريم.

3. أن العلاقةَ بين رسم المصاحف والقراءات علاقةٌ قويّةٌ ومتينةٌ؛ لأنهُ يترتب على مخالفة الرسم العثماني ترك الكثير من القراءات.

4. وبينت من خلال هذا البحث أن بعض القراءات المتواترة تُقرأ في أحد الرسوم بقراءة لا يحتمله الرسم الأخر ولم يكن الرسم هو السبب في ذلك بل النقل الصحيح والثابت من الرسول ﷺ هو من جاء بهذه القراءة وجاء الرسم موافقاً لذلك.

5. أن بعض العلماء (رحمهم الله تعالى) قد وقع في الترجيح بين القراءات المتواترة بإسلوب يكاد يسقط القراءة الأُخرى وهذا غير مرضي ولعلهم يقصدون من ذلك الاختيار لا الترجيح.

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي أوصي بها من خلال بحثي، فما كان صواباً فمن الله الواحد الأحد، وما كان خطئاً فمني، ومن الشيطان ﴿... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وفي بحثي هذا لا أدعي إحاطةً فيها، ولا كمالاً، وحسبي فيه أنَّي بذلت قصارى جهدي، وغاية وسعي وإنِّي بهذا الجهد لأرجو من ربي الكريم الرحيم قبول عملي هذا قبولاً حسناً، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه ودعا بدعوته الى يوم الدين، والحمد لله ربِّ العالمين.

(1) سورة البقرة: من الآية: 286.

المصادر والمراجع

- **بعد القرآن الكريم .**

1) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: 1117هـ)، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، 2006م - 1427هـ.
2) أدب الكاتب: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري ، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد المكتبة التجارية - مصر، الطبعة الرابعة، 1963م.
3) إعراب القرآن: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (المتوفى: 458هـ).
4) الإقناع في القراءات السبع: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (المتوفى: 540هـ)، دار الصحابة للتراث.
5) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420هـ.
6) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : 616هـ) المحقق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
7) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، دار سحنون - تونس - 1997م.
8) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ- 1988م.
9) التيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، المحقق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1404هـ/ 1984م.
10) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
11) الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 - 1987م.
12) الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401هـ.
13) الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق- بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401هـ.
14) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

15) دليل الحيران على مورد الظمآن: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي (المتوفى: 1349هـ)، دار الحديث- القاهرة.
16) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام - حلب، سوريا.
17) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
18) الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: 900هـ)، المحقق: إحسان عباس، مؤسسةناصرللثقافة-بيروت،الطبعةالثانية.
19) صفحات في علوم القراءات: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
20) الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني: محمد محمد محمد سالم محيسن، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، 1445هـ.
21) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
22) القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني: محمد الحبش، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- السودان، أم درمان.
23) كتاب السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ..
24) كتاب المصاحف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: 316هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة - مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م.
25) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407هـ.
26) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.
27) المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، 1981م.
28) المحرر في علوم القرآن: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م.
29) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 - 1987م.
30) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو

الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
31) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)
32) معجم ما استعجم من الأسماء والبلاد والمواضع: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ)، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ.
33) مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر - دار القلم، دمشق.
34) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، 1399هـ - 1979م.
35) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
36) النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى:833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى:1380هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.